

الأمل فيها



الكاتبة: فرح شهاب

الأملُ فينا

الكاتبة: فرح شهاب

تدقيق وتنسيق: تالا وصفي ابداح

المقدمة:

في لحظة عابرة، يُمكن أن تتغيّر حياتك بالكامل، لتصبح بين ليلة وضحاها في مواجهة مصيرٍ لم يخطر ببالك يومًا. أنا فتاةٌ اسمي فرح، أبلغ من العمر تسعة عشر- عامًا. أريد أن أخبركم عن نفسي-، عن كل الأوجاع التي مررتُ بها وكيف أصبحت مصدرَ قوّتي وفخري. كانت حياتي أشبه بلعبة أقدار، لم يكن الأمر سهلًا، لكنني تعلمتُ من كل لحظة كيف أبنى نفسي من جديد، رغم كل شيء.

عندما كنت طفلة، كنت مفعمة بالحياة، جميلة، مرحة، ومشاكسة. الجميع كان يدلّني، فقد كنت الأصغر بين إخوتي، وهذا جعلني أعيش طفولةً لا تشبه غيرها. ولكن، في يومٍ من الأيام، كل شيءٍ تغيّر. عندما بلغت عامي الثاني، بدأت رحلتي مع الألم. لم أعد تلك الطفلة التي تضحك بلا نهاية، بدأت ألاحظ أمورًا غريبة، كالشخير المستمر والتعب الذي لا يزول. أذكر جيدًا ذلك اليوم عندما اكتشفتُ أمي بقعةً حمراء على يدي تشبه الفراولة، ولم يكن ببالها أن هذه العلامة الصغيرة ستقلب حياتي وحياة عائلتي رأسًا على عقب.

ومع مرور الأيام، بدأت تلك البقعة تترك أثرًا أعمق، ليس على جلدي فحسب، بل على روحي. زرنا العديد من الأطباء، وتلقينا نفس الجواب في كل مرة: "لا شيء يدعو للقلق". لكن ما لم يكن واضحًا لهم، كان واضحًا لي ولعائلتي... شيئًا كبيرًا كان ينتظرنا.

ابقوا معي في هذه الرحلة، ففي كل منعطفٍ من القصة هناك درسٌ وحكمة، وفي كل لحظةٍ ألمٍ ينبع منها بصيص أملٍ جديد.

في أحد الأيام، اشتدَّ وجعي أكثر، وأصبح شخيري أقوى ومؤلمًا. لحسن الحظ، ذهبنا إلى عيادة بسيطة. أذكر حينها أنَّ الطبيب أعطاني لعبةً على شكل مُهرة، وما زلتُ مُحفظَةً بها حتى الآن.

قام الطبيب بفحصي-، وهنا كانت الصدمة لأُمِّي وأبي عندما أخبرهم بأني مريضة بالسرطان، وأنَّ الورم خبيث.

كنتُ أَلعبُ باللعبة، فرحةً بها، دون أن أفهم ما يحدثُ حولي. ذهبنا إلى المستشفى ليتأكد أهلي من التشخيص، ولكن كان الأمرُ قَدَرًا من الله.

أخبروا أُمِّي أن تجهز ملاسي- وأغراضي لأدخُل إلى غرفة العمليات لاستئصال الورم. كانت أُمِّي حزينةً جدًّا، وأبي ينظر لي ويلاعِبني.

في اليوم التالي، في تمام الساعة الثامنة صباحًا، نظرتُ إلى أُمِّي وأبي والدموع في عيني.

كان الأطباء يُحاولون إلهائي كي لا أبكي.

دَخلتُ إلى غرفة العمليات التي رأيتها كغرفة مليئة بالأشباح. بعد دقائق، أُجريت العمليَّة التي استمرَّت بين نصف ساعة وساعة تقريبًا.

خرج مُعظم الأطفال من غرفة العمليات، إلَّا أنا. لاحقًا، أخبرتني أُمِّي أنَّهم كانوا قلقين جدًّا لأنني بقيتُ داخل الغرفة لمدة ساعتين كاملتين.

بعدما خرجتُ، أخبرَ الأطباءُ أهلي بأنَّ العلاج سيبدأ قريبًا.

وبدأ العلاج. كنتُ أتألم من الكيماوي، لكن بدون دُموع، وكان الله زوّد قلبي بالصبر. أذكر
أني بكيت عند أخذ خزعات الظهر، فقد كان الألم كأن سيفًا يدخل في ظهري، أو كأنها
أشعة كهرباء.

رغم الألم، كنتُ أنسى- وجعي عندما أرى أبي يحضر- لي كل شيء أحبه، وأمي تلاعبني
وتهوّن عليّ كل أوجاعي.

ثم جاء اليوم الذي تساقط فيه شعري، وبكيت كثيرًا. أين ذهب شعري؟ كانت دموعي
في عيوني يوميًا، فقد كان سقوط شعري أشد ألمًا عليّ من كل الآلام التي مرتت بها.

بعد عام كامل، خرجت من المستشفى. رغم صغري، كنتُ واعية جدًا. كنت أستيقظ كل
صباح وأقف أمام المرأة، أبكي على شعري، أتساءل أين هو.

وفي أحد الأيام، استيقظتُ كهادتي لأرى هل بدأ شعري في النمو. رأيت خصلات خفيفة
تظهر، وكانت تلك اللحظة فرحةً لا تُوصف، وكأنها عيد لديّ. أخيرًا، بدأ شعري في
الظهور.

حتى أتممتُ الخمسة أعوام، كنتُ سعيدةً جدًا بفكرة دخولِ الروضة، لكن كان شعري ما زالَ قصيرًا كالصبيان.

بدأ العامُ الدراسيُّ، وعندما دخلتُ الصف، شكَّ الطلابُ بأني صبي. لكن المعلمة أخبرتهم: "هذه فتاة واسمها فرح".

شعرتُ بصدمة الجميع حين عَرَفوا أنني فتاة. ما زلتُ أذكرُ تلك اللحظاتِ وكأنها حدثت بالأمس.

جلستُ في مكاني، وبدأ الطلابُ يضحكونَ مني لأنَّ شعري قصير. كنتُ أبكي لأُمِّي وأسألها: "أين شعري؟".

رغمَ ذلك، كانت علاماتي ممتازة، وكنتُ مُجتهدةً جدًا في دروسي. انتهى العامُ الدراسيُّ، ولكنني كنتُ أحمِلُ في قلبي كرهاً شديدًا للناس بسببِ الشُخيرةِ اليومية.

ومع ذلك، تخرَّجتُ رغم أن شعري بقي قصيرًا، لكنني كنتُ أشعرُ بأنني جميلةٌ جدًا.

في يوم التخرُّج، ارتديتُ فستانًا أبيض، وكأني طفلةٌ بريئة، بعيدةً عن هذا العالمِ السيِّئ.

حتى أصبحت في الصف الأول، لم أكن أرغب في الذهاب إلى المدرسة، فقد كنت خائفة جدًا وحمل قلبي كرهًا شديدًا للناس، فقد تركوا في داخلي أثرًا مؤلمًا.

ومع ذلك، ذهبت إلى المدرسة بدون رغبة ولا حتى فرحة، كان شعري لا يزال قصيرًا، لكن لا خيار لديّ.

كانت معلمتي تُدعى حنان، وما زلتُ أذكر حنانها ومعاملتها الطيبة معي.

أذكر أنني جلستُ في المقعد الأول، وجلست بجانب فتاة سألتني: "ما اسمك؟"

قلت لها: "اسمي فرح."

كنت خائفة من ردة فعلها عندما تعرف أنني فتاة. لكنها قالت لي: "وأنا اسمي ملاك."

اقتربت أن نكون صديقتين، وأصبحنا كذلك.

رغم أن الجميع لم يحبني، وأنا أيضًا لم أكن أحب أحدًا، وكان كرهني شديدًا للجميع.

كنت متميزة في دراستي وهادئة تمامًا.

أذكر في يومٍ كنت أتحدث مع صديقتي، فضربتني المعلمة لأنني تحدثت دون إذن. نزل الدم من فمي، فخرجت من الصف لغسل وجهي وملابسي المليئة بالدماء.

عندما رأَت معلمتي حنان الدماء، سألتني: "ما هذا؟"، فأخبرتها بكل شيء.

حضنتني وكأنها أمي، وما زلتُ أحبها وأذكرها بكل خير.

عدتُ إلى الصف وكنتُ أشعر بكره شديد لتلك المعلمة.

وبقيتُ على هذا الحال حتى بلغ عمري ثلاثة عشر عامًا.

عندما أصبحت في الثالثة عشرة من عمري، كنت فتاة صامتة جدًا، ولم أكن أحب أحدًا.

تراجعت في دراستي بشكل كبير بسبب ترددي المستمر إلى المستشفى.

*ملاحظة بسيطة: حتى بعد انتهاء المرض، تبقى هناك أعراض تحتاج إلى علاج في الأيام التالية.

كنت أذهب للعلاج بين فترة وأخرى، لكن فقدت شغفي بالدراسة تمامًا.

كان لديّ أعمام يعاملونني كما لو كنت ابنتهم، مثل أبي تمامًا، لكنني فقدتهم واحدًا تلو الآخر، وهنا انهرت بشدة.

هل هذا حلم أم واقع؟

عاد التعب لي بشكل أكبر، ولكن الحمد لله.

ورغم كل هذا، ما زلتُ مُدلة عند أبي وأمي، وكانوا حقًا العوض لي في هذه الدنيا.

كنت صامدة وصامتة جدًا، وبقيتُ على هذا الحال حتى بلغت السابعة عشرة من عمري.

عندما أصبح عمري سبعة عشر- عامًا ، كنت أعمل لمرحلي الثانوية ، كنت أجهز كُتبي ومُلخصات أكتبها بيدي وضعت جِلمي وأهداني بينَ عيوني ، في يومٍ كنتُ أتابعُ أستاذًا لِإدادة اللغة العربية وكانَ يشرح عن مادةٍ مطلوبة بعدَ انتهاء الحِصة أخبر الأستاذ الذي تُريد سؤالًا تتواصل مع الطالبة فرح لأنني كنتُ مُتميزة عندَ هذا الأستاذ، تواصلت معي فتاة اسمها دُعاء ساعدتها بالذي تريده ، ونهيتُ معها .

بعد فترة تواصلت معي حتى أصبحنا نتواصل بِشكل يوميّ حتى أصبحت أولَ صديقة مُفضلة لديّ كانَ يومي لا يَمُر إلا بِحديثي معها ، شَعرتُ أنها الصديقة الذي ناسبت قلبي بِشكل دائم و ملتزم .

بدأ وقت الامتحاناتِ الوزارية ، كنتُ مُجتهدة جدًا لدراستي ، رغم أنَّ البعض تشاءم في نجاحي ، حتى في أحلامي أخبروني كيف سَتنجحين وانتي مريضة ؟

حتى حصل لَم يكن بالحُسبان ، تعبتُ جدًا في امتحاناتي ، الزيف الذي راققني ، وتسارعُ القلبِ الذي حسستُ قلبي أصبحَ بالخارج ، الضغط الذي يرتفع ، كنتُ أقدم امتحاني بِأقل من نصف ساعة وأخرج من القاعة مُتعبة جدًا فأذهب إلى المُستشفى لِأخذ العلاج وأعود إلى البيت لِدراسة الامتحان التالي ، من أسوأ الفترات الذي مررتُ بها ، رغم ذلك كانوا معي دُعاء ومَلِك كانوا بجانبني دائمًا شجعوني بكل حُطوة أخطيها أخبروني أنني سأنجح حاولوا معي ، ولم يُفارقوني دقيقة واحدة ، حتى يومِ النتائج أخبرتُ أمي أنني لَن أنجح في عدت مواد لكن العلم عند الله ، حتى ظهرت النتائج ورأيت النجاح يا الله عندما الله يعوضك بالخير بعد الصبر ، كانت دُعاء معي بكل حُطوة ، صدقًا لقيت الحياة فيها خير وإنه مش كل الناس واحد .

وَلَن أنسى- مَلِك صديقة القلب كانت من أفضل المشجعين على الأيام الصعبة ، كانت معي بجانبني حتى أخبرتها بالنجاح ورأيت الفرحة في عيونها لي .

ويأتي عليك أشخاص مثلهم تُخبرك بأنهم سيفتحون لك أبواب هذه الحياة مهما كانت مُغلقة لك.

في يوم النتائج، أخبرت أمي أنني لن أنجح في عدة مواد، لكن العلم عند الله.

وعندما ظهرت النتائج، رأيت النجاح!

يا الله، كيف يعوضنا الله بالخير بعد الصبر.

كانت دعاء معي في كل خطوة، وصدقت أن الحياة ما زال فيها خير، وأنه ليس كل الناس مثل بعضهم.

يأتي شخص واحد ليمنحك الحياة، مهما كانت الأبواب مغلقة أمامك.

بعد نجاحي، انتظرت وقت قبول الجامعات، لكن بسبب وضعي الصحي، لم أتمكن من الالتحاق بالجامعة التي رسمت أحلامي فيها.

ومع ذلك، اختار الله لي الأفضل.

سجلت في كلية قريبة من منزلي، حتى إذا تعبت، يمكنني الاتصال بأهلي.

والآن، أدرس تخصص الأرشفة، وأجتهد في دراستي.

أكتب كتاباتي اليومية، وقد حققت حلمي بفضل الله ثم دعم أهلي، وصديقتي التي شجعتني في كل خطوة.

أنا الآن فتاة أكثر وعيًا، أحب حياتي أكثر، وما زلت أشعر ببعض التعب، لكن الحمد لله على كل حال.

وفي الختام، أود أن أخبركم أن من أحسن الظن بالله وصبر، فقد ينال معجزات من عند الله.

اعلم أنك بخير، وأنت أفضل من كثيرين.

احمد الله دائماً على صحتك وعلى النعم التي لديك، ولا تسمح لمواقف عابرة أن تجعلك تفقد الأمل في الحياة، يا عزيزي.

الكاتبة: فرح شهاب

النهاية.

